توظيف الحكاية الشعبية في أدب الأطفال "أزهار العرب أنموذجاً"

د. بشار إبراهيم نايف

المديرية العامة للتربية في محافظة نينوى

ملخص

أزهار العرب عشر حكايات جمعها القاص بهجت درسون في مجموعة حكائية، أطرها بحكاية رئيسة جعلها حاوية لكل الحكايات تماما مثل حكاية ألف ليلة وليلة التي تحكي عن ملكة تحكي لزوجها الملك حكايات كان القصد منها إطالة العيش معه لكي لا يقتلها، ومع اختلاف الغرض إلا أننا نجد البناء الفني للحكاية يسير في الاتجاه ذاته الذي سارت عليه أزهار العرب، وبدلا من أن تحكي شهريار لزوجها شهرزاد حكت الجدة لأحفادها الصغار الحكايات العشر، والقاص بهجت درسون من مدينة الموصل وهي إحدى مدن العراق، وقد شارك بهذه المجموعة في مسابقة الشارقة لأدب الأطفال وحصل على المرتبة الثانية، وقد وجدنا أن درسون قد وظف الحكاية الشعبية لتناسب الأطفال، عبر استعماله آليات متنوعة تثير شوق الطفل وتستفز خياله، وهي في الوقت ذاته تمنحه العبر والدروس وتزرع فيه الحب والعمل، والعدل وتحذره من المكر والخديعة. لقد أفاد بهجت درسون من بناء الحكاية الشعبية ومضمونها وشخصياتها، كما أفاد من عنصري المكان والزمان بالخصوصية ذاتها التي نجدها في الحكاية الشعبية، وفي الوقت نفسه أفاد كثيرا من مدينته الموصل ومن الحكايات التي كانت تحكيها الجدات أيام زمان. وقد جمعتنا الرغبة مع بهجت درسون لنحافظ على جزء من هذا الإرث الجميل الذي يكاد يندثر بعد ظهور الفضائيات والانترنت وانكفاء الجدات عن حكاياتهن.

مقدمة

تعد الحكاية الشعبية تعبيرا إنسانيا يمثل منتجا أدبيا بدأ عن طريق روايته شفاهة وهو فن قديم، كما أنه فن هادف يحمل رسالة إنسانية فضلا عن التسلية والمتعة التي ينشدها السامع، فالإنسان ميال بطبعه لسماع الحكايات والقصص، لاسيما تلك التي تحتوي المغامرات والخوارق والبطولات. وكثيرا ما كان الناس يتجمعون حول راوي الحكاية، في المقهى أو الشارع. وفي البيت يتجمع الأطفال حول الجدة لتحكي لهم إحدى الحكايات التي سمعتها من أسلافها. وقد لا نجانب الحقيقة إذا قلنا إنه لا يمكن دراسة الحكاية الشعبية من دون المرور بعهد الطفولة، وقد حاول كتاب أدب الأطفال الإفادة من الحكاية الشعبية وتوظيفها في كتاباتهم، واختلفوا في اعتماد آليات اشتغالهم على النص، معتمدين في ذلك على طبيعة إدراك الطفل ومدى فهمه وسعة خياله. من هذا المنطلق اخترنا موضوع البحث والموسوم(توظيف الحكاية الشعبية في أدب الأطفال أزهار العرب أنموذجا) وهي مجموعة حكايات لبهجت درسون، وسبب اختيارنا لهذه المجموعة أنها موجهة للأطفال، كما أنها حصلت على المرتبة الثانية في المسابقة التي أقامتها دولة الإمارات العربية المتحدة، وكانت محاور خطتنا في تأليف البحث هي:

1 ــ بناء الحكاية الذي سار به درسون على منوال بناء الحكاية الشعبية، لاسيما (حكايات ألف ليلة وليلة)، إذ يقوم هذا البناء على نوعين من الحكايات(الحكاية الإطارية)، متمثلة في قصة الجدة مع أحفادها الصغار، والحكايات الفرعية وجاءت على عشر حكايات صغيرة سماها درسون بالأزهار.

2 ــ الآلية الثانية التي اعتمدها القاص في توظيف الحكاية كانت في الثيمة التي انبنت على العجائبية، كما نجده في قصة جنجل ورباب، والتاريخية في قصتي

حاتم الطائي، والفكاهية في حكاية جحا مع الحمار ، أو في حكاية زوجة البناء، والدينية كما في حكاية يهودي في بلاط النبي سليمان.

3- تمثلت الثالثة في الشخصية الحكائية والوظائف التي أدتها في الحكاية، ومنها؛ شخصيات الحيوان (الغزالة، الحمامة، الثعلب، الخ)، الشخصيات التاريخية: (حاتم الطائي، جحا، النبي سليمان)، والشخصيات الخرافية (الدامية).

4- الآلية الرابعة كانت (الزمان والمكان)، فنجد القاص قد اختار نمطين من الزمان، نمطا مفتوحا جسده من خلال عبارات (كان في قديم الزمان، في كوخ صغير كانت هناك، يقال كان رجل، وصادف أن سافر ملك حمير ذات يوم). والنمط الثاني تجسد في تحديد زمن معين كأن يقول على لسان الجدة راوية الحكايات(الى أن ينتهي الشتاء أمامنا حتى الربيع عدة أيام، في كل ليلة سأقص عليكم قصة، جلست الجدة في المساء، في زمن النبي سليمان)، وفي هذا ذكر زمن محدد. أما المكان فهو مكان مفتوح وغير محدد، (يحكى أن سنورا كان يسكن في جحر إحدى الغابات، بالقرب من شجرة كبيرة)، فهذا الوصف ينطبق على كثير من الأمكنة التي تتشابه ؛ فالغابات كثيرة والأشجار أيضا.

وانهينا البحث بخاتمة بينا فيها كيف وظف بهجت درسون الحكاية الشعبية في أدب الأطفال.

وقد اعتمدنا في منهجنا على طريقة ذكر الآلية التي ندرسها واستحضار الشاهد من (أزهار العرب).

التمهيد

يعد التراث العربي معينا لا ينضب في رفد قصاصينا بالحكايات الشعبية التي تمتع المتلقي وتثير دهشته، وهو يعلن عن نفسه في كل محاولة تجديد له وتوظيفه سواء عن طريق محاكاته نصيا أم الاستعانة بعدد من أدواته. وتوظيف الحكاية الشعبية في أدب الأطفال مشروع قديم وجد فيه المربون وسيلة للدخول إلى عالم الطفولة وتحفيز مداركهم وإثارة مشاعرهم وتخصيب خيالهم وتجسيد

انتمائهم للطبيعة والتاريخ والتراث، هكذا كانت حكايات الأطفال متعة ودروسا، حاولت الجدة عبرها في لياليا الشتوية الطويلة إخضاعنا لعالم الخيال، ربما لزرع القيم والمثل فينا، أو ربما لإخافتنا لكي نأوي إلى فراشنا، وربما لأغراض أخرى. ومن دون قصد منها كانت تنشئ جيلا يحمل بذور الأدب والثقافة والحكمة. هكذا أرادت الجدة من رواية الحكايات وهكذا أراد كتابنا من توظيف هذه الحكايات في أدب الأطفال.

والحكاية الشعبية الموصلية لا تختلف عن نظيراتها في العراق، أو حتى البلدان العربية، إلا بأسماء الشخصيات ربما، أو سيناريو وحوار القصة، ففي الحكاية الموصلية هناك شخصية مشهورة تشكل القاسم المشترك لأكثر الحكايات وهي (الدامية، أو السعلوة)، وهو ما موجود في دول عربية أخرى بأسماء مختلفة. وعدد من الأمور الأخرى البسيطة، كاللهجة الموصلية وغير ذلك، وهي اختلافات قد لا تؤثر في فحوى الحكاية وأغراضها، ومن هنا انطلق بهجت درسون المولود في الموصل العام 1962 والحاصل على شهادة البكالوريوس زراعة وهو الأديب والصحفي والمصور،[1] في توظيف الحكاية الشعبية في أدب الأطفال ليكون مجموع الحكايات التي جمعها تحت مسمى أزهار العرب عشر حكايات أصدرها العام 2001م عن دائرة الثقافة والإعلام الإماراتية، وقد فازت بالجائزة الثانية مناصفة في جائزة الشارقة للإبداع العربي الدورة الرابعة في مجال قصص الأطفال. وهذه الحكايات معروفة في الأوساط العراقية والعربية وهي على التوالي(جنجل وربات، وحاتم الطائي وملك حمير، والجرذ والسنور، والحمامة والثعلب ومالك الحزين، وحكاية جحا مع الحمار، وسالفة من الإمارات العربية المتحدة، والصديقان، ويهودي في بلاط النبي سليمان، وكرم حاتم في حياته، وزوجة البناء)،[2] وقد نوع الكاتب من اختياراته للحكايات، كما نوع من توظيفاته لتقانات الحكاية الشعبية في أدب الأطفال فاعتمد بناء الحكاية الشعبية والموضوع الذي يقوم في جل مفاصله على

العجائبية والتراثية وقصص الحيوان، والشخصية الحكائية والفضاء الحكائي المتمثل في عنصري الزمان والمكان. وهذه التوظيفات شكلت محور بحثنا وعناوينه الرئيسة.

بناء الحكاية في أزهار العرب

يقوم بناء الحكاية في قصص أزهار العرب على نوعين من الحكايات، (الحكاية الإطارية والحكاية الفرعية) وهذا البناء قامت عليه الحكايات الشعبية الأخرى لاسيما حكايات ألف ليلة وليلة، إذ تمثلت الحكاية الإطارية في ألف ليلة وليلة بقصة الملك شهريار والملكة شهرزاد التي أرادت أن تضحي بنفسها لتنقذ بنات جنسها من انتقام الملك، وبمكرها ودهائها استطاعت أن تغري الملك بسماع حكاياتها العجيبة لمدة زمنية طويلة قدرها (ألف ليلة وليلة)، وقع على أثر ذلك حب شهرزاد في قلب شهريار فعفا عنها وعن باقي النساء، وقد مثلت تلك الحكايات التي حكتها شهرزاد النوع الثاني من الحكايات سميت بالحكايات الفرعية.

تتميز الحكاية الإطارية بالبساطة وقلة الأحداث والشخصيات وهذا ما يمنحها ميزة احتواء حكايات أخر تتوالد باستمرار[3] ، وقد نسج بهجت درسون حكاياته في مجموعته(أزهار العرب) على هذين النوعين(الحكاية الإطارية والحكاية الفرعية) وتمثلت الحكاية الإطارية بالجدة وأحفادها الذين جمعتهم لتحكي لهم حكايات عشر، وسبب اختيار القاص الجدة لتحكي هذه الحكايات إنما هو لتأكيد عرف متبع سارت عليه الجدات في الماضي والحاضر وفي مختلف بقاع الأرض، وقد لاحظنا على هذا الاختيار أن القاص قد ربط بين أهدافه التربوية التي أراد إيصالها للأطفال باختياره الجدة القادرة على فعل ذلك، فاختار الجدة (المعلمة، المتفوقة، المتقاعدة) وهي صفات تمنح الجدة قدرة التأثير في الأطفال. ولو رجعنا إلى قصص ألف ليلة وليلة نجد أن شخصية شهرزاد أعطيت هي الأخرى ثلاث ميزات جعلت النجاح حليفها فقد كان أبوها

وزيرا للملك وقد قدم لها نصيحة لكي لا تلقي بنفسها الى التهلكة عبر حكاية وعظية حكاها لها، كما كانت شهرزاد تملك عقلا راجحا تمكنت بوساطته من إنقاذ نفسها وبنات جنسها، فضلا عن ذلك كانت تملك روح التضحية والمغامرة، ومع تباين الغرض إلا أننا نجد أن بهجت درسون قد نجح إلى حد بعيد في اختيار الجدة، فالمعلمة تملك من وسائل التأثير في الأطفال ما لا يملكه غيرها، وهذا متأت من أمرين: خبرتها في التعليم، والمدة الطويلة التي قضتها مع التلاميذ، فضلا عن أنها كانت معلمة متفوقة.

تشكلت أحداث الحكاية الإطارية في أزهار العرب من مفاصل سردية يسيرة بنيت على نمط البناء المتتابع إذ تسير فيه الأحداث متعاقبة وللأمام من دون الرجوع للخلف، باستثناء حالة واحدة مرت عبر إشارة يسيرة كان من الممكن التوقف عندها والاستطراد فيها " قالت (الجدة) وهي تركز في الصورة، في هذه الصورة أتسلم جائزة أفضل معلمة في المدينة " [4] ولأن الرجوع للخلف لا يهم القاص ولا يؤثر في أحداث الحكاية يكتفي بهجت درسون بهذه الإشارة ويعود لإكمال السرد.

وبناء الحكايات الشعبية على التتابع إنما هو نهج انتهجته معظم هذه الحكايات ، فالأحداث تسير بشكل منطقي يقوم على السببية أي إن الحدث الثاني يكون مكملا للحدث الأول وهكذا حتى تنتهي الحكاية، و" من أبرز خصائص هذا البناء الاستهلال المميز"[5]. وقد مثلت الحكاية الإطارية استهلالا جيدا وتمهيدا للحكايات الفرعية عبر أسلوب تشويقي الغرض منه تهيئة ذهن السامع لما سيقص عليه من حكايات، وقد جرى من خلاله التعريف بالشخصيات الرئيسة للحكاية وتقسيم الأدوار بينهم؛ متحدث (الجدة)، وسامع (الأطفال). وبينت ثقافة كل منهما ومصدر تلك الثقافة(الجدة عبر قراءة الكتب والأولاد عبر أسئلتهم المتكررة وسماع الحكايات).

ميزة أخرى تميزت بها الحكاية الإطارية عن الفرعية وهي أنها استخدمت الأسلوب المباشر بالوعظ والإرشاد، وجاءت الحكايات الفرعية تدعم ذلك، عبر الدروس المستخلصة من كل حكاية، ولهذا عدت الحكاية الإطارية حاضنة للحكايات الفرعية.

عموما سارت أحداث الحكاية الإطارية في أزهار العرب على النحو الآتي:

1 ــ أسعد ينظر إلى صورة جدته وهي تتسلم جائزة المعلمة المتفوقة.

2 ــ الحوار الذي جرى بين الجدة وأسعد، وفيه يركز القاص على مسألة حب الاستطلاع والأسئلة الكثيرة لدى الأطفال، والقراءات الكثيرة للجدة عبر كتبها الموجودة في مكتبتها.

3 ــ أسعد يطلب من جدته أن تحكي له عددا من الحكايات التي قرأتها.

4 ــ الجدة توافق على طلب أسعد على أن تجمع كل أحفادها، وتبدأ بالحكايات في العشر الأواخر من الشتاء.

5 ــ تحديد الزمن الذي ستحكي فيه الجدة حكاياتها " إلى أن ينتهي الشتاء أمامنا حتى الربيع عدة أيام في كل ليلة أقص عليكم قصة يحتويها أحد هذه الكتب"[6]. وسبب اختيار الشتاء يعود إلى طبيعة ليله فهو يمتاز بكون ليله طويلا قياسا بفصول السنة الأخرى، وهذا يضفي على الحكايات متعة كبيرة وتعطي للجميع فسحة زمنية للسمر وسماع الحكايات.

6 ــ الجدة توضح لأحفادها نوع الحكايات التي ستحكيها لهم، بعدما " سألها أحد الأولاد:

ــ قصص حقيقية؟

ــ بل حكايات شعبية عربية متوارثة".[7] وقد جاء اختيار الباحث لهذا النوع من الحكايات كونها تشتمل على كثير من الحكم والمواعظ والدروس التي يمكن الإفادة منها في تعليم الأطفال الأخلاق الحسنة، والصفات الجيدة وتنمية خيالهم فضلا عن المتعة والتشويق اللذين تتوافر عليهما هذه الحكايات.

الحكاية الفرعية

تشكلت البنى السردية للحكايات العشرة في (أزهار العرب) من نمط واحد يقوم على البداية+ حدث صاعد +العقدة +حدث نازل+ الحل(الخاتمة)، وهي بنى دأب عليها كتاب الحكاية والقصة، ومع تنوع بناء الأحداث في القصة، إلا أنها في الحكاية تسير سيرا منطقيا من البداية إلى النهاية. وجاءت البداية في الحكايات العشر وصفا للمكان الذي تدور فيه أحداث الحكاية، ففي الزهرة الأولى (جنجل ورباب) قامت البداية على وصف للمكان الذي تعيش فيه الغزالة وولديها جنجل ورباب " في كوخ صغير كانت هناك غزالة تسكن مع ولديها جنجل ورباب قرب غابة كبيرة كثيرة العشب والماء "[8]. وفي الزهرة الثانية (حاتم الطائي وملك حمير) " يحكى أن حاتم الطائي وهو أكثر العرب كرما في الجاهلية دفن بعد موته بالقرب من رأس جبل كان يجري تحته نهر صغير، ومن حينها صار هذا المكان محطة تقف عندها القوافل ويقف المسافرون أيضا طلبا للراحة"[9]. وفي الزهرة الثالثة "يحكى أن سنورا كان يسكن في جحر إحدى الغابات وكانت بالقرب منه شجرة كبيرة، وكان يسكن بالقرب من جحر السنور جرذ"[10]. وفي الزهرة الرابعة(الحمامة والثعلب ومالك الحزين) تقول الجدة:" تبدأ الحكاية بنخلة طويلة وسط بستان، عششت فوقها حمامة"[11] وهكذا في الحكايات الأخر، وهذا النوع من الوصف يسمى بالوصف الوظيفي، وهو " وصف بنائي يمهد لأحداث كانت ستثير أسئلة كثيرة لدى القارئ لو لم يتدخل الوصف لإيضاحها "[12]. كما يشكل هذا الوصف مع العنوان طليعة سردية تجعل القارئ يخمن أحداثاً قد تحصل ما يضفي تشويقا لديه، ومن ثم فهو أسلوب يثير فضول الأطفال، ويفسح المجال أمامهم لإدراك جمال الطبيعة، فضلا عن بساطته التي تلائم عمرهم، وقد تنقل القاص بين الغابة والصحراء والجبل والنهر. كما دأبت البداية على تعريف القارئ بشخصيات الحكاية والتمهيد للصراع الذي سيحدث بذكر الأخطار المحيطة بهذه الشخصيات ومن

ثم الانتقال إلى الأحداث التصاعدية، وقد وضع القاص في كل حكاية مفتاحا للدخول إلى تلك الأحداث لتشكل بؤرة النص؛ إما بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق التلميح ، ففي الحكاية الأولى (جنجل ورباب) طلبت الغزالة من ولديها عدم فتح الباب إلا لها حينما تناديهم "جنجل ورباب افتحا لأمكما التي بقرونها الحشيش وفي ثدييها الحليب"[13]. وتبدأ المشكلة حين تسمع الدامية تلك العبارة وتستخدمها في اصطياد ولدي الغزالة ثم في ابتلاعهما. وتتأزم الأحداث أكثر حينما تفشل الغزالة في الجولة الأولى من المنازلة، وتسقط نتيجة انزلاق قدمها بغائط الدامية، ليأتي بعدها الحل وتبدأ الأحداث بالنزول والاقتراب من النهاية إذ تقدم الغزالة شكوى للغراب تبين فيها حيلة الدامية لتبدأ منازلة أخرى تنتصر فيها الغزالة وتسترد ولديها بعدما تشق بطن الدامية.

في حكاية (سالفة من الإمارات) نجد مفتاح الأحداث يكمن في وجود لص يسرق ثمارا ذهبية من إحدى أشجار بستان ملك يفرق في تعامله بين ولديه من زوجته الأولى، وولده الآخر بسبب أن أمه جارية، وتبدأ الأحداث حينما يقرر الأولاد مساعدة والدهم في كشف السارق، "قال له ولدا الزوجة الأولى:

– يا أبانا نحن نكشف لك السارق – .

وقال الوزير بعد أن رأى إصرارهما يا مولاي ليذهب ولداك إلى البستان ويكشفا لنا السارق"[14] . فيفشل ولدا الزوجة الأولى، وينجح ولد الجارية برغم اعتراض أبيه على ذهابه، "كنت أعول على ولدي الآخرين ولم يفلحا، أما هذا فلا أعول عليه في أي شيء"[15] . غير أن نجاحه كان منقوصا إذ يهرب اللص(النسر) بالثمرة الذهبية برغم تعرضه للإصابة، وتأخذ الحكاية مجرى آخر عبر مطاردة الأولاد الثلاثة للنسر، ودخولهم في مغامرة مثيرة كتلك التي تذكرنا بحكاية السندباد، التي تبدأ من البحر على ظهر سفينة تتقاذفها الأمواج ويتهددهم الغرق، وتستمر أحداث الحكاية لتبين لنا جدية ابن الجارية وتقاعس ولدي الزوجة الأولى، ويتمكن ابن الجارية من استرداد الثمرات الذهبية، ويأسر

النسر وأفراخه، وفي الوقت الذي يظن فيه القارئ أو سامع الحكاية أن الحكاية قد قاربت على الانتهاء يجدها تتأزم من جديد، إذ يقوم ولدا الزوجة الأولى بسرقة الثمار من ابن الجارية ويدعيان أمام الملك بأنهما من حصل على الثمار لكسب محبته، لكن الأحداث تقترب من النهاية عبر حيلة وزير الملك في كشف الصادق والكاذب من الأولاد. " تمعن الوزير بالأولاد الثلاثة ثم قال: هذه الثمار الذهبية سحرية..إذا غسلت بماء عين صافية ثم غسلنا جرح النسر تماثل للشفاء ثم إذا سقيناه من ماء الثمار هذه فإنه سيتكلم ويقول ما حدث وعندها سيلقى الكاذب عقابه"[16]. فيعترف ولدا الزوجة الأولى بالحقيقة خوفا من العقاب، وعلى اثر ذلك يقرب الملك ابن الجارية منه بعدما عرف صدقه وإخلاصه، "اليوم فقط عرفت قدرك يا بني"[17].

النهاية في الحكايات العشر هي نهاية مغلقة، إذ تنتهي فيها الأحداث ولا مجال فيها إلى بداية قصة جديدة تكون مكملة لها ، وهذه سمة أخرى وظفها الكاتب في أدب الأطفال، إذ إن خيال الطفل لا يستوعب النهايات المفتوحة، والتي يمكن على غرارها نسج حكايات أخر، أو تلك التي تكون غامضة، ونجد في تلك النهايات الفكرة التي يريد الكاتب إيصالها للأطفال، فالحكاية الأولى تنتهي باستعادة الغزالة ولديها وقتل الدامية، والحكاية الثانية تنتهي بقيام عدي بن حاتم الطائي بتقديم راحلة لملك حمير تنفيذا لأمر والده الذي زاره في المنام وطلب منه تقديم راحلة للملك، وبين دهشة الملك واستغرابه تنتهي الحكاية بالإشارة إلى كرم العرب، وهذا ما أراده بهجت درسون من ذكر الحكاية،" أجاب عدي الملك: يا مولاي هذه شيمة العرب على الدوام"[18]. والحكاية الثالثة تنتهي بالتأكيد على حكمة تؤكد أخذ الحذر في التعامل مع العدو لاسيما إن أبدى لك صداقته، فالجرذ رفض الاقتراب من السنور على الرغم من أنه أنقذه من شباك الصياد، وقال: " العاقل يصالح عدوه إذا اضطر إليه ويصالحه ويظهر له وده ولا ينبغي أن يثق به كل الثقة ولا يأمنه على نفسه"[19]. والحكاية الرابعة

تنتهي بذكر حقيقة غابت عن الناس الذين يقدمون النصح لغيرهم ويفشلون في الإفادة من تلك النصائح في إنقاذ أنفسهم، وهذا ما حصل مع المالك الحزين الذي قدم فكرة جيدة للحمامة لكي تنقذ أفراخها وفي الوقت ذاته يعجز عن إيجاد الحيلة في إنقاذ نفسه فيقع فريسة في فم الثعلب الذي لخص النهاية بقوله "يا عدو نفسه تعلم الحمامة الحيلة وتعجز عن ذلك لنفسك ؟! ثم أجهز عليه وأكله"[20]. وفي نهاية الحكاية الخامسة يعود الحمار لجحا فيتهلل وجهه فرحا ويشكر البائع. وفي الحكاية السادسة ينتبه الملك إلى خطئه ويقرر معاملة أولاده بالعدل والمساواة، وفي الحكاية السابعة تؤكد النهاية على الوفاء بين الأصدقاء وحسن التعامل بينهم، وفي الثامنة يفر اليهودي إلى قدره ليلقى ملك الموت بانتظاره. وفي التاسعة يعود القاص إلى حاتم الطائي ليبين كرمه في حياته بعدما حكى لنا عن كرمه في مماته، والعاشرة تسخر من غباء الأب وزوجته وابنته ومن تشاؤمهم.

هكذا نجد الحكايات التي اختارها لنا بهجت درسون حكايات قصيرة بنيت على تشكيلات سردية متعددة يتقدمها الوصف أو يتخللها في بعض الأحيان.

توظيف المضمون

أفاد بهجت درسون من مضامين الحكاية الشعبية وما تمتاز به فعمد إلى توظيفها في حكاياته التي قدمها للأطفال، لاسيما تلك التي يتحقق الغرض منها في تقديم ما ينفع الأطفال ويتوافر فيها عنصر التشويق فضلا عن الدروس الحياتية البسيطة بما يناسب عمرهم، وقد "وضعت الجدة (الراوية) في أزهار العرب المتلقي منذ اللحظات الأولى أمام التنوع الذي زخرت به مجموعة قصص(أزهار العرب)"[21] كما أننا نجد أن هذه المجموعة قد "نهلت من مستويات ومشارب شتى، كان أولها التراث العربي الذي هو بحد ذاته لم يجتمع إلا من مساحة واسعة ومتنوعة جغرافيا وبيئيا واجتماعيا، فضلا عن التراث الشعبي الغني بالعبرة والخيال من خلال ارتكاز المجموعة القصصية إلى أشكال

مختلفة من الحكاية،"[22]، ومع هذا الاختلاف تنوعت المضامين بين عجائبية ودينية، وتاريخية، وفكاهية، وهي مضامين يطرب لها الأطفال، فضلا عن أنها تكون مشحونة بالحكم والمواعظ .

و" العجائبية نزعة إنسانية، قوامها ابتكار ما هو عجيب والعجيب هو ما يكسر المألوف، ويتجاوز الممكن، ليخترق المستحيل، ويحقق مالا يمكن تحقيقه"[23]، إذ تقوم الحكايات العجائبية على توخي الواقعي والمنطقي وتسير في اتجاه الخوارق، وكل ما لا يصدقه العقل فيعمل الخيال على جعل ذلك حقيقة عبر صياغة فنية جميلة تقنع القارئ وتجعله يعيش أحداثها، ويسعى كاتب النص من خلال ذلك إلى ربط الماضي المثير للدهشة والاستغراب بحاضر لا يقل غرابة ولا دهشة، لذا نجد جميع الحكايات التي حكتها الجدة لا تخلو من الأحداث العجيبة، ففي قصة جنجل ورباب تنمو الأحداث عبر صراع بين الغزالة (حيوان ضعيف)، والدامية (شخصية خرافية مرعبة)ومع هذا تنتصر الغزالة على الدامية لإنقاذ ولديها. وفي متن الحكاية نجد عددا من الأمور التي يعجب لها القارئ، إذ يتغير صوت الدامية القبيح إلى صوت حسن يشبه صوت الغزالة بفضل(الحلو) أو ما يسمى بالدبس الذي تشربه الدامية، والغزالة توافق على تحديد موعد لمنازلة الدامية وهي تعلم أن أولادها في بطنها، وهذا ما ينقضه الواقع فعاطفة الأمومة لا تتعامل مع العقل حين يتعرض الأولاد لخطر الموت، ومع تأخر الموعد إلا أن الأولاد يخرجون من بطن الدامية معافين لا يصيبهم أي أذى. لقد أرادت الجدة أن تبين للأطفال أن الخير هو الذي سينتصر في النهاية وأن الشر مهما كان قويا سينهزم وهذا هو ديدن الحياة.

وحكاية سالفة من الإمارات تقوم على مغامرة عجائبية كتلك التي يقوم بها السندباد في أسفاره، والعجيب في الأمر وجود الثمار الذهبية وتناقصها في كل ليلة، ثم قيام الأولاد بحراستها لمعرفة السارق الذي هو نسر، ثم ملاحقته إلى جزيرته وقتله واسترداد الثمار منه وهذا النوع من الحكايات يثير الأطفال

لما فيه من مغامرات مثيرة، كما فيه معان إنسانية تدعو إلى عدم التفرقة ومحاربة التمييز الطبقي، والتأكيد على الصدق والابتعاد عن الكذب.

ومن الحكايات العجائبية تنتقل الجدة في حكاياتها إلى الحكايات التاريخية، والاستعانة بالتراث العربي المليء بقصص العرب وهي تحمل أخبارهم وتصور أخلاقهم، فحكايات حاتم الطائي تتفكه بكرمه وتتندر بعطائه والكرم والعطاء صفات العربي قديما وحديثا، وفي أزهار العرب حكايتان عن حاتم، تحكي الأولى كرمه في مماته إذ يزور ابنه في المنام ويأمره أن يقدم راحلة لملك حمير "أنا عدي بن حاتم الطائي، زارني أبي ليلة أمس في المنام وأمرني بأن أقدم لك هذه الراحلة تعويضا عن الراحلة التي ذبحتها من أجله عندما نزلت في ضيافته ولم يكن مستعدا"[24] والثانية في حياته عندما ذبح حاتم فرسه ليقدمه طعاما لضيفه رسول الروم وهو الذي جاء ليختبر كرم العرب ويطلب من حاتم ذلك الفرس، فقال له حاتم "لو سألتني ذلك البارحة قبل أن تجلس لحققت لك طلبك ولكنك قد تعشيت من لحمها، فلقد ذبحتها لأجلك.

رجع حاجب الملك إلى قصر مولاه وحدثه بما حدث.

أجابه ملك الروم : إنه أشد كرما في ذبحه الفرس منه لو أعطاها، فقد ذبحها إكراما لك"[25] .

وإلى جانب الحكاية التاريخية تحكي الجدة حكاية ذات مضمون ديني تدعونا فيه إلى الإيمان بالقدر وبالموت الذي سيزورنا يوما ما حتى لو هربنا منه إلى أبعد مكان وهذا ما حصل لليهودي الذي عاش في زمن سليمان عليه السلام، إذ لم ينفعه هربه إلى الهند من لقاء ملك الموت، " حضر ملك الموت مجلس نبي الله سليمان فسأله النبي:

ــ أتذكر اليهودي الذي يحضر مجلسي؟

ــ أجابه ملك الموت: نعم

قال النبي: لماذا صوبت نظرات أفزعته، وأرعشت جسده؟

أجابه ملك الموت:

ــ أمرت أن أقبض روحه في الهند، في الموعد المقدور.. وعجبت كيف سيحدث ذلك؟!"[26].

نوع آخر من المضامين الحكائية استعمله الكاتب هو المضمون الفكاهي، وهو مضمون يقوم على ما هو طريف ومضحك، فقد روت الجدة للأطفال حكايتين فكاهيتين الأولى عن(حكاية جحا مع الحمار) والثانية(زوجة البناء)، في الحكاية الأولى يتآمر لصان على سرقة حمار جحا الذي اشتراه من السوق تلبية لطلب زوجته، فيقوم الأول بفك رباط الحمار ويربط به الثاني ، وجحا لا يعلم بالأمر ثم يقنع اللص الثاني جحا بأنه كان إنسانا عق والدته فدعت عليه فمسخه الله حمارا، "جعلت الدهشة جحا يلتفت، قال جحا للرجل:

ــ أين حماري؟

ــ أجابه اللص أنا هو يا جحا.

قال جحا باستغراب: وكيف هذا؟

رد اللص: كنت عاقا لوالدتي فدعت الله أن يمسخني حمارا فلما أصبح الصباح قمت من نومي فوجدت نفسي حمارا فذهبت إلى السوق وباعتني إلى الرجل الذي اشتريتني منه، والآن الحمد له لأن أمي رضيت عني فعدت آدميا "[27].

ولأن جحا يملك قلبا طيبا لا يفهم الخداع انطلت عليه الحيلة وأطلق سراح اللص وذهب ليشتري حمارا آخر ووجد حماره الذي اشتراه أول مرة فظن أن الرجل قد عاد لعقوق والدته فهمس بإذنه:

"ــ ها قد عدت إلى عقوق والدتك، ألم أقل لك لا تغضبها؟ إنك تستحق ما حل بك؟"[28] واضطر جحا لأن يحكي للبائع قصة الحمار الأمر الذي أضحكه وعلم أن جحا قد سُرِق من دون أن يدري، وقال له:

"لقد سرقت والدليل أنني اشتريت حمارك هذا قبل قليل، شعر جحا بالأسى إلى حد جعل البائع يتعاطف معه قائلا:

ــ خذ يا جحا حمارك وأنا سأقتص من السارق"[29]

أما حكاية زوجة البناء فتقوم على طرفة حكاها الرجل لابنته ليصرفها عنه بعدما ألحت عليه بأن يحكي لها حكاية، فقال لها: سأزوجك للبناء

فذهبت البنت إلى أمها وهي تبكي وتقول:

"أبي سيزوجني للبناء، وسأجلب طفلا منه، وسيلبس جزمة، وتزلق رجله، فيقع في النهر"[30] فتبكي الأم وتولول على حظ ابنتها، فيسمع الأب بكاء ابنته وزوجته فيسألهما عن السبب فتقول له الأم:

"أنت تريد أن تزوج ابنتي من البناء، وستجلب ابنتي ولدا منه وسيلبس جزمة ، وتزلق قدمه، ويقع في النهر"[31] فيبكي الأب وينتف لحيته فيسمع بهم الجيران ويضحكون عليهم، إنهم يبكون على أحداث لم تقع بعد. ومع أن هذه الحكاية تشير إلى غباء الأب وزوجته وابنته، وتتناول حكايتهم بالفكاهة إلا أنها تعالج موضوعا مهماً يكمن في نظرة بعض الناس للمستقبل وتشاؤمهم منه.

الشخصية الحكائية

" تعد الشخصية من أهم عناصر النص السردي لأنها تمثل العنصر الأساس الذي يضطلع بمهمة الأفعال السردية ودفعها نحو نهايتها المطلوبة، ويمكن القول أن طبيعة الشخصيات ووعيها وقدرتها تؤشر نوع النص السردي"[32] ، كما أنها تشكل " تمظهرا سرديا تجسده لغة الراوي لينهض بمهمة صناعة الأحداث السردية انطلاقا من صفات ورؤية خاصة به"[33]، وتمتاز الشخصية بصفات متعددة، فهناك الشخصية الرئيسة والثانوية، والثابتة والمتنامية، والصالحة والشريرة، وصفات أخرى، وهذه الصفات قد نجدها في كل نص حكائي، وفي الحكاية الشعبية يمكن أن نضيف إليها الشخصية التراثية والخرافية وشخصية البطل المغامر الذي يجوب الصحراء، ويتسلق صخور الجبال ويخوض البحار، ويعرض نفسه للمهالك في سبيل الوصول إلى أهدافه التي يسعى لها، لقد اختار

لنا بهجت درسون شخصيات متنوعة وأناط بها وظائف رسمت نوع الصراع ، في الحكاية الأولى تمثلت شخصيات الحكاية بأربعة شخصيات:

الغزالة ـــــــ شخصية البطل

الدامية ـــــــ الشخصية الشريرة

أولاد الغزالة ـــــــ الضحية

الغراب ـــــــ الشخصية المساعدة

تتميز شخصية الغزالة(البطل) بالشجاعة وتحدي الصعاب وهي التي تنازل الدامية الشخصية الشريرة وتنتصر عليها، وسر قوتها يكمن في حالة لاشعورية سببها تعرض أولادها للخطر وسعيها لتخليصهم. أما الدامية فهي شخصية خرافية، اشتهرت بصفات متعددة وبأسماء كثيرة على النطاق العربي، ففي الموصل تسمى (بالدامية أو السعلوة، وفي مصر تسمى بالغول أو أمنا الغولة).

ولهذه الشخصية الخرافية مرجعية تاريخية قديمة تعود إلى حضارة وادي الرافدين وعند الرجوع إلى أصول حكايات السعلاة نجد أن هناك تطابقاً من أن (للسعلوة) شكلاً ثابتاً من حيث الجنس.[34]

1. الشكل الخارجي: أنثى، ويقال (أحيانا) عنها إنها (امرأة) طويلة القامة، كثيفة الشعر، عارية الجسم، كثافة الشعر تغطي أنحاء جسمها كافة ما عدا الثديين.

2. سوداء اللون، وهذه الصفة مطابقة لصفات الشخصيات الشريرة في الميثولوجيا إذ إن اغلبها سوداء اللون لربطها بالليل، الأمر المطلوب توافره في سرد الحكاية لزيادة الإثارة .

3. الثديان متدليان من صدرها حتى الركبة، وعندما تريد إرضاع طفلها تحمله على كتفها وترمي أحد ثدييها خلف ظهرها .

4. لها مخالب في يدها فقط لقتل الضحية وتمزيق اللحم في مكان ما ومص دمه، وهذا بالتأكيد يطابق تسمية (الدامية) في الحكايات الشعبية الموصلية.

5. شكلها الخارجي قذر جداً وشعر جسدها مغطى بالكامل بـ(القمل)، ويقال أيضا أنها حيوان مائي. فضلا عن ذاك امتازت هذه الشخصية عند أهل الموصل بالحيلة والخداع لاصطياد فريستها، إذ إنها عمدت في حكاية جنجل ورباب إلى شرب (الحلو) الدبس ليتحسن صوتها ويسهل عليها تقليد صوت الغزالة لخداع ولدي الغزالة.

أما أولاد الغزالة فهما شخصيتان ضعيفتان انخدعتا بسرعة بحيلة الدامية، وهما الضحيتان اللتان وقعتا فريسة للدامية، وقد عمد القاص إلى إظهار بعض الأفضلية للذكر (جنجل) الذي لم تنطل عليه الحيلة في بادئ الأمر، لولا إلحاح رباب (الأنثى) وفي هذا تناص مع حكاية آدم وحواء وانخداعهما بحيلة إبليس، إذ إن آدم في بادئ الأمر لم يقتنع بكلام إبليس كما تحكي الروايات لولا حواء التي أقنعته بتناول ثمر الشجرة المنهي عنها، وهذا يعني أن الذكر يحتكم إلى العقل بينما الأنثى تحتكم إلى عاطفتها.

الغراب، طائر يتشاءم منه الجميع بسبب شكله وصوته القبيحين، ومع هذا فقد أعطيت له وظيفة المخبر الذي أخبر الغزالة بما قامت به الدامية، والحكم الذي أشرف على النزال بين الغزالة والدامية، لذا كان دوره دورا مساعدا للغزالة في إنقاذ ولديها.

وعموما فقد وظف القاص الحيوانات في حكاياته كونها قريبة إلى ذهن الطفل كما أنها تجسد ميل الطفل إلى الطبيعة ومحاكاتها والحيوانات جزء من الطبيعة، ومن الشخصيات الحيوانية الأخرى التي استخدمها بهجت درسون الحمامة وأفراخها والثعلب ومالك الحزين ونجد في حكايتهم معادلا موضوعيا للحكاية الأولى مع بعض التغيير في وظائف الشخصيات. فشخصية الحمامة أضعف من شخصية الغزالة وشخصية الثعلب أكثر دهاء من شخصية الدامية أما شخصية مالك الحزين فقد أعطيت لها وظيفتان:

1 ــ وظيفة المساعد والمنقذ للحمامة وهي شخصية حكيمة تسدي النصائح للآخرين.

2 ــ الشخصية الغبية التي تقع في شرك الثعلب ودهائه ومن ثمّ تصبح طعاما له.

ومن الشخصيات الأخرى (الجرذ والسنور)، وهما شخصيتان حكمت عليهما شريعة الغابة بالعداوة والمطاردة، كون الجرذ يمثل طعاما شهيا للسنور. لقد منح القاص الجرذ بسبب قدم العداوة تلك حكمة ودراية بالأمور غذتها خبرة طويلة باتباع أنجع السبل للخلاص من السنور وغيره من الحيوانات، لذا نراه يستخدم عقله في كل لحظة من لحظات الحياة ويفيد من تغير المواقف لصالحه ويلتزم الحذر والتروي، وهو في حكاية الجرذ والسنور الشخصية البطلة الواعظة والمنقذة، أما السنور فلا يملك إلا الاستسلام والرضوخ وتلقي مساعدة الجرذ وسماع مواعظه.

من الشخصيات التي يوظفها القاص في حكاياته الشخصية الدينية، فيختار شخصية النبي سليمان عليه السلام وسبب الاختيار هو ما تتصف به هذه الشخصية:

1ــ شخصية نبي.

2ــ ملك النبي سليمان الجن والإنس وعلم منطق الطير، وهو ملك لم يعط لغيره، لذا فهو يمتلك قدرات خارقة وبإمكانها نقل من تشاء الى ابعد مكان وهذا ما كان يريده راوي الحكاية.

هذه الشخصية القوية صاحبة العقيدة تقابلها شخصية اليهودي الضعيفة الخائفة من الموت، ونجد في اختيار الراوي لشخصية اليهودي تقصدا واضحا كما فيه تناص مع القرآن الكريم، إذ يصف القرآن وفي آيات كثيرة اليهودي بالإنسان الخائف من الموت المحب للحياة.

اعتمد الكاتب الشخصية التراثية متمثلة في شخصية (جحا)، وقد عرفت هذه الشخصية بالفكاهة والطرافة، وهي شخصية ضعيفة، طيبة القلب، ولعل طيبة قلبها كانت سببا في وصفها بالغباء، وقلة الدراية وضعف الحيلة ومع هذا نجد في النهاية يتحقق لها ما تريد، ففي حكاية جحا والحمار يُسرَق جحا بحيلة ساذجة ومع هذا فقد انطلت عليه الحيلة، غير أنه في النهاية يحصل على حماره.

أما شخصية الصديقين في القصة التي تحمل اسم (الصديقان) فهي ترمز للوفاء تجاه الصديق وهي شخصية طيبة تؤثر الصديق على النفس وتقدم لأجله التضحيات.

ومن خلال التعامل السردي مع هذه الشخصيات نجد أن القاص قد أضفى صفة الثبات على بعضها، فيما اتصف البعض الآخر بالتغير، فشخصية الغزالة تغيرت من الضعف إلى القوة، وولدا الغزالة تغيرا من اللامبالاة إلى الحذر، وشخصية الملك في قصة سالفة من الإمارات تغيرت تجاه ابن الجارية، فيما يمكن وصف ابن الجارية بالشخصيات النامية التي تتطور مع الحدث، ومن الشخصيات الثابتة التي لم تتغير شخصية حاتم الطائي وشخصية النبي سليمان وهما شخصيتان ايجابيتان، فيما كانت شخصية اليهودي شخصية سلبية خائفة من الموت محبة للحياة، لذا فضلت الهرب إلى أبعد مكان للتخلص من الموت.

توظيف الزمان

تعتمد الحكاية الشعبية بشكل عام على الزمان المفتوح، إذ ليس هناك تحديد واضح له فـ"الزمان فضلاً عن أنه ممتد طولاً، فهو مبهم، وغائم، وغير محدود فهو على الأغلب قديم الزمان، وسالف العصر والأوان"[35]. وهذا لا يعني أن الحكاية تبتعد كليا عن التحديد فقد نتسلم إشارات زمنية عن طريق ارتباطها بشخصية تاريخية يستدل منها على العصر الذي عاشت فيه، وربما يتحدد الفضاء الزماني من خلال الفضاء المكاني، وربما أغفل الزمن نهائياً واكتفى

بالفضاء المكاني: (كان في أحد البلاد ملك ــ كان في أحد القرى صياد). وفي هذه الافتتاحيات عبّر الفعل السردي كان عن الزمان القديم المبهم، من دون أن يلفظ الزمن القديم صراحة.[36] كما أن زمن المغامرة والمدة التي تستغرقها أحداث الحكاية قد تكون طويلة غير معلومة، وقد تكون محددة بمدة معينة فالدامية في حكاية جنجل ورباب تحدد وقت العصر لمنازلة الغزالة، وعندما تنتصر الغزالة على الدامية وتنقذ ولديها تحدد لهم "اليوم سأفتح فتحة في باب الكوخ وأوصيكما بأن لا تفتحا الباب إلا بعد أن تشاهدا هذا الخاتم من الفتحة"،[37] وفي قصة جحا تحدد الزوجة وقت شراء الحمار باليوم" اشتر الحمار اليوم وإلا أخذت منك ثمن الخلخال" وعندما ذكر اللص قصته المصطنعة مع أمه وعقوقه لها ودعاءها عليه بأن يمسخه الله حماراً قال " فلما أصبح الصباح قمت من نومي فوجدت نفسي حمارا".[38]

في حكاية (الصديقان) نجد أن الزمن فيها مفتوحا " كان في قديم الزمان صديقان وفيان"[39] إذ لم يحدد الراوي الزمن الذي جرت فيه أحداث الحكاية، وترك الزمن مفتوحا يمنحه صفة الشمول أي إنه يمكن حصوله في أي وقت وحين، والحكاية تبين وفاء الأصدقاء لبعضهم، وقد قام أحدهما بالسفر إلى بلاد بعيدة ولم يذكر الراوي المدة التي استغرقها هذا الصديق في ذهابه ورجوعه، إذ لم يكن للزمن في هذه الحكاية أهمية تذكر وليس له تأثير في دلالة النص الحكائي. في حكاية حاتم الطائي وملك حمير، يقول الراوي "سافر ملك حمير ذات يوم واسمه ذو الكراع"[40] نجد هنا الراوي لم يحدد اليوم الذي سافر فيه الملك لكنه حدد لنا زمن الحكاية عندما ربط أحداثها بشخصيتين تاريخيتين(حاتم الطائي) الذي عاش قبل الإسلام بقليل ومعاصره ملك حمير، وهذا ما ينطبق أيضا على حكاية (يهودي في بلاط الملك سليمان) فقد حدد زمنها بشخصية النبي سليمان عليه السلام، وكذلك فعل مع حكاية سالفة من الإمارات، إذ حدد زمنها بمئة وخمسين سنة إذ يقول الراوي " كان في قديم الزمان قبل مائة وخمسين سنة تقريبا ملك لديه زوجتان"[41] مع أن أحداث الحكاية لا توحي إلى

هذه المدة بل إلى مدة أبعد من ذلك بكثير. وفي قصة زوجة البناء نجد زمنها يتكون من استباقات تقوم على أفعال سردية لم تحدث بعد(سيزوجني أبي للبناء + سأجلب طفلا + سيلبس جزمة + وتزلق قدمه + فيقع في النهر). وهكذا نجد القاص قد نوع من استخدامه للزمان، بين زمن مجهول وآخر معلوم.

توظيف المكان

المكان في الحكاية الشعبية مفتوح أيضا يتكلف الوصف بذكره وبيانه للمتلقي و"للمكان في السرد القصصي أهمية كبيرة، أيا كان شكل ذلك السرد، سواء أكان أسطورة أم ملحمة، أم حكاية شعبية، أم رواية أم قصة، وفي كثير من الأحيان يبدو المكان جزءا أساسيا من أجزاء السرد، بل عنصرا فاعلا فيه، يؤثر في الشخصيات والحوادث تتأثر به"[42]، ومن ثمّ لا يمكن الاستغناء عنه في أدب الأطفال، ولاسيما إذا أفدنا من الحكايات الشعبية في خلق طبيعة حكائية تؤثر في الأطفال إذ "تمتلك الحكايات الشعبية أمكنة وفضاءات غريبة بإمكان قصص الأطفال أن تفيد منها بأشكال مختلفة، أبسطها الإفادة المباشرة بتحويرها واستلهامها، ولكن الأهم من هذا هو الإفادة من الأساليب والتقانات والقيم الجمالية التي قدم من خلالها المكان في الحكايات الشعبية".[43]

وتتنوع الأمكنة في أزهار العرب بين الغابة والجبل والبحر والصحراء، وهي أمكنة عامة لم تحدد باسم معين (في كوخ صغير، رأس جبل، قرب نهر، شجرة كبيرة، نخلة طويلة،..) وقد جاء ذكر الأمكنة ووصفها في بداية كل قصة كما ذكرنا سابقا عبر الاستهلال المقدم لكل حكاية، كما جاء ذكرها أيضا في متن الحكاية عبر الأحداث التي تحصل فوقها ففي حكاية جحا نجد الراوي يصف لنا مشهدا يتخلله وصف للمكان "دخل جحا سوق الحمير ويده على جيبه حتى وصل أحد الدلالين، وقد أوقف إلى جانبه حمارا مفردا، بعد النظر فيه التفت عنه واتجه نحو بقعة فوقها عدة أشخاص والى جانبهم قطيع من الحمير"،[44] وفي حكاية سالفة من الإمارات العربية المتحدة نجد أن بستانا

للملك فيه شجرة ثمارها ذهبية تشكل مفصلا مهما من مفاصل الحكاية فالملك يحزن لأن ثماره تنقص كل يوم، فيساعده أولاده الثلاثة غير أن ولدي الزوجة الأولى يفشلان وينجح ابن الجارية بعدما " قفزت إلى ذهنه فكرة أن يربط شعره بأحد أغصان الشجرة فإذا ما غفا وتدلى عنقه استيقظ عنوة من النوم"[45] فيكتشف اللص الذي كان نسرا، أخذ الثمرة الذهبية وهرب إلى الجزيرة، وتبدأ مطاردة أولاد الملك للنسر من على ظهر سفينة "في سفينة لا تتسع لأكثر من عشرة أشخاص، ركب الإخوة الثلاثة، أبحروا باتجاه الجزيرة الصخرية، كان البحر صعبا فتهددهم الغرق"[46] وبعد وصولهم الجزيرة يصف لنا الراوي الجزيرة والطريق الذي سلكه الأولاد " كان الطريق الذي اتخذه ابن الجارية يتجه نحو أقصى اليسار يتبعه حارسه، أما الأخوان الآخران فذهبا معا برفقة حارسيهما عبر الطريق المنبسطة، انجذب نظر ابن الجارية نحو شجيرات صغيرة داكنة الخضرة في أعلى قمة على يساره..لكن الطريق الوعر الذي سلكه صعب عليه المهمة خصوصا بعد أن اكتشف ان البقعة كانت أعلى مكان في الجزيرة"[47]، إن هذه الأماكن تثير في الطفل خياله، ذلك أن الإنسان بصورة عامة والطفل بصورة خاصة يميل إلى الأماكن الغريبة التي تثير دهشته قديما وحديثا. وفي حكاية (الصديقان) يصف الراوي البلد الذي سيسافر إليه احد الصديقين(السفر إلى بلد بعيد للتجارة، هذا البلد الذي سأسافر إليه مشهور بالخيار). لقد كان للمكان في إزهار العرب دور كبير في بناء الحكاية، إذ وظّف عبر تنوعاته الكثيرة في أدب الأطفال، فشكل مفصلا لا يقل أهمية عن المفاصل الأخرى في حكايات الأطفال.

الخاتمة

نجح بهجت درسون في توظيف تقنيات الحكاية الشعبية في أدب الأطفال، تلك التي يمكن لهؤلاء الأطفال تقبلها، إذ نجد فيها البناء السهل والخفة والبساطة ومحاكاة الطبيعة، وهي في معظمها حكايات قصيرة هادفة تنوعت بين حكايات

الحيوان والحكايات التاريخية والفكاهية والدينية. ونجد أيضا القاص قد تدرج زمنيا في حكايات الجدة مع ذهاب الشتاء واقتراب الربيع، فبدأ بالحكايات الطويلة ثم انتهى بحكايات قصيرة (يهودي في بلاط النبي سليمان) و(زوجة البناء)، ذلك أن ليالي الشتاء أطول من ليالي الربيع.

وانطلق الكاتب في مجموعته (أزهار العرب) من أن الحكايات الشعبية تتشابه في دول العالم عموما والدول العربية خصوصا لذا نجده يختار عن عمد باقته هذه من مصادر متنوعة وجهات مختلفة ، وقد وجدنا أن بعضها حكايات سمعناها من أسلافنا وهي حكايات موصلية فاختار لها مكانا غير الموصل واسما غير الاسم فمثلا سالفة من الإمارات العربية المتحدة تحمل الفكرة ذاتها التي تحملها حكاية الملك وأولاده الثلاثة لأحمد الصوفي في كتابه(حكايات الموصل الشعبية) وهي نفسها التي سمعناها من جداتنا باسم (أحمد ومحمد ومحمود)، كما أن زوجة البناء هي أيضا حكاية محورة عن حكاية موصلية تحكي قصة رجل يعيش مع زوجة غبية تركها زوجها ليبحث عن زوجة عاقلة غير أنه يهتدي إلى عائلة أشد غباء تبكي ابنتهم ويبكي أهلها معها لأنها ستتزوج من الرجل وتنجب طفلا ويكبر الطفل ويأكل (الشقيق الأحمر ويموت) فيقرر الزوج العودة إلى زوجته الأولى.

أمر آخر نلحظه على بهجت درسون وربما حتمته عليه ظروف المسابقة العربية في الشارقة التي شارك فيها بهجت درسون بحكاياته(أزهار العرب) وهو ابتعاده عن اللهجة الموصلية مع أن الحكاية الشعبية هي مرآة المجتمع، وهي محاكاة لكل صفاته بما فيها لهجته المحلية، وكان من الممكن على الأقل استخدام هذه اللهجة في بداية الحكاية ونهاياتها، فعندما كانت الجدة تحكي لنا حكاياتها كانت تقول(كان يا ما كان على الله التكلان، كلمن علينو ذنب يقول التوبة واستغفر الله) وفي النهاية تقول (كنا عدكم وجينا ولو كان بيتي قريب كان جبتولكم ثلاث حفنات زبيب، حفنة لجدتكم وحفنة لي وحفنة للي

حكتلكم الحكاي)، ويبدو أن القاص تعمد ذلك ليخبرنا أن معظم الشعوب تتفق على هذه الحكايات. وتتوحد في أدبياتها، ذلك أنها نابعة من تجربة إنسانية عامة تقوم على وصف حالة الفقر والحرمان من جهة وتتشبث بالأمل وبالنهاية السعيدة من جهة أخرى فاستعمل اللغة العربية الفصحى.

وختاما نقول إن أزهار العرب هي مجموعة حكايات جمعها لنا القاص الموصلي بهجت درسون خصص بناءها ومضمونها لأدب الأطفال، ومثلت سلسلة متواصلة لحكايات الجدة التي أبعدتها عنا القنوات الفضائية، وأجهزة العاب الحاسوب.

الهوامش

[1] ــ موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين: د. عمر الطالب، 97

[2] ــ أزهار العرب: بهجت درسون، 2

[3] ــ السردية العربية : د. عبد الله إبراهيم ،97

[4] ــ أزهار العرب: بهجت درسون، 7

[5] ــ البناء الفني لرواية الحرب في العراق : عبد الله إبراهيم، 29

[6] ــ أزهار العرب:10

[7] ــ م.ن:10ــ11

[8] ــ م.ن :14

[9] ــ أزهار العرب :24

[10] ــ م.ن :30

[11] ــ م.ن :36

[12] ــ الإنسان والطبيعة في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف: محمد علي شوابكة، المجلد 4، ع3 ،1999، ص337

[13] ــ أزهار العرب: 14

[14] ــ م.ن :54

[15] ــ أزهار العرب :56

[16] ــ م.ن : 66

[17] ــ م.ن :67

[18] ــ م.ن :28

[19] ــ م.ن :34

[20] ــ أزهار العرب :41

[21] ـ التنوع الحكائي في مجموعة أزهار العرب القصصية: فارس السردار، القصة السورية (انترنت) ...www.syrianstory.com

[22] ــ م ،ن

[23] ــ من التراث الشعبي :د. أحمد زياد محبك، 86

[24] ــ أزهار العرب:28

[25] ــ أزهار العرب:83

[26] ــ م.ن:80

[27] ــ م.ن :49
[28] ــ أزهار العرب: 50
[29] ــ م.ن: 52
[30] ــ م.ن:85
[31] ــ م.ن :86
[32] ــ الملحمية في الرواية العربية المعاصرة: د. سعد عبد الحسين العتابي، 190
[33] ــ م.ن : 192
[34] ــ السعلوة في حضارة وادي الرافدين: د . جمال السامرائي، (انترنت) ...www.shattalarab.com
[35] ــ دراسة في بنية الحكاية الشعبية ـــــ فوزات رزق، مجلة الموقف الأدبي – مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد 409 أيار 2005
[36] ــ م.ن
[37] ــ أزهار العرب:23
[38] ــ م.ن :49
[39] ــ م.ن : 71
[40] ــ أزهار العرب :25
[41] ــ م.ن : 54
[42] ــ من التراث الشعبي :د. أحمد زياد محبك، 138
[43] ــ م.ن : 138
[44] ــ أزهار العرب: 44 ــ45
[45] ــ م.ن : 57
[46] ــ م.ن : 59
[47] ــ م.ن : 59

ثبت المصادر والمراجع

* أزهار العرب: بهجت درسون، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة ـــــ الإمارات العربية المتحدة،2001 م
* البناء الفني لرواية الحرب في العراق، دراسة لنظام السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة، عبد الله إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة طـ 1، بغداد، 1988 م.
* السردية العربية : د. عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي، بيروت ـــــ لبنان، 1992م
* الملحمية في الرواية العربية المعاصرة: د. سعد عبد الحسين العتابي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2001
* من التراث الشعبي دراسة تحليلية للحكاية الشعبية:د. أحمد زياد محبك، دارالمعرفة، بيروت ــ لبنان، ط1، 2005م
* موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين: ا. د. عمر محمد الطالب، دار ابن الأثير، جامعة الموصل، 2007م
* الإنسان والطبيعة في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف: محمد علي شوابكة، المجلد 4، ع3 ،1999
* التنوع الحكائي في مجموعة أزهار العرب القصصية: فارس السردار، القصة السورية (انترنت) www.syrianstory.com...
* السعلوة في حضارة وادي الرافدين: د . جمال السامرائي، (انترنت) www.shattalarab.com...

* دراسة في بنية الحكاية الشعبية ـــــ فوزات رزق، مجلة الموقف الأدبي – مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد 409 أيار 2005

Modifcation of Folk tales in Children,s Literature

Azhar al_Arab (Flowers of Arabs) as a Model of Analysis

Summary

Azhar al_Arab (Flowers of Arabs) is collection of stories Collected by Bahjat Dirson. The collection is rather based on one major story similar to One Thousand and One Nights stories when the queen Shehrazad tells the king a story every night. In this edition a grandmother tells stories to Children. More than one similarity can be found between them particularly in techniques of narration.

Dirson، the writer، a dapted this form for Children when he uses certain interesting devices in stirring the imagination، presenting lessons of work and waring them at the same time of beguile and cheating.

Dirson knows well the importance of structure in such folk tales especially the role of characters. He also got use of the old Mawsyli in time and place.

Therefore، i، together with Dirson، meet to keep this literary tradition lest might be disappeared particularly with the growth of internet and the increasing of computers and the disappearance of our grandmothers، manner of telling these present days